

بسم الله الرحمن الرحيم

بعض الآثار الواردة عن السلف في باب فضل ضعفة المسلمين

الشيخ/ خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فهذه بعض الآثار الواردة عن السلف -رضي الله تعالى عنهم- في باب فضل ضعفة المسلمين والفقراء والخاملين:

كانت لأبي برزة الأسلمي جفنة من ثريد في أول النهار، وأخرى في آخر النهار -في العشي- للأرامل والأيتام والمساكين^(١).

وقد قال ابن عمر -رضي الله تعالى عنه-: لأن أكون عاشر عشرة مساكين يوم القيامة أحب إلي من أن أكون عاشر عشرة أغنياء، فإن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة، إلا من قال هكذا وهكذا، يقول: يتصدق يميناً وشمالاً^(٢).

وأجنب الأحنف بن قيس -رحمه الله- وهو أمير على خراسان، أجنب في ليلة باردة، فلم يوقظ غلمانه، وكسر ثلجاً واغتسل^(٣).

ما عندهم ماء، إنما هو الثلج، وكان بإمكانه أن يوقظ هؤلاء المماليك والخدم، فيوقدوا ناراً ويسخنوا له ما يغتسل به، لكنه كسر ثلجاً واغتسل، وهذا من اللطف بالضعفة والخدم.

يقول أبو العالية -رحمه الله-: اشتريت امرأة، فأرادت أن تعتقني، فقال بنو عمها: تعتقينه، فيذهب إلى الكوفة فينقطع؟ فأتت لي مكاناً في المسجد، فقالت: أنت سائبة -تريد: لا ولاء لأحد عليك- فأوصى بماله كله لها^(٤). وهذا الربيع بن خثيم -رحمه الله- جعل يطعم مصاباً خبيصاً، فقليل له: ما يدرى ما أكل؟ قال: ولكن الله يدرى^(٥).

وكان بكر بن عبد الله المزني يقول: إني لأرجو أن أعيش عيش الأغنياء، وأموت موت الفقراء، فكان -رحمه الله- يلبس كسوته، ثم يجيء إلى المساكين، فيجلس معهم ويحدثهم، ويقول: لعلهم يفرحون بذلك^(٦).

ويقول محمد بن سعد: سألت محمد بن عبد الله الأنصاري عن سبب الدين الذي ركب محمد بن سيرين حتى حبس به.

^١ - سير أعلام النبلاء (٤٢/٣).

^٢ - المصدر السابق (٩٠/٣).

^٣ - المصدر السابق (٩٢/٤).

^٤ - المصدر السابق (٢١٢/٤).

^٥ - المصدر السابق (٢٦٠/٤).

^٦ - المصدر السابق (٥٣٤/٤).

ابن سيرين معروف أنه حبس بسبب دين، فسئل محمد بن عبد الله الأنصاري عن هذا، فقال: كان باع من أم محمد بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاص جارية، فرجعت إلى محمد، فشكت أنها تعذيبها، فأخذها محمد، وكان قد أنفق ثمنها، فهي التي حبسته^(٧).

وعن زبيد بن الحارث أنه إذا كانت ليلة مطيرة طاف على عجائز الحي، ويقول: ألكم في السوق حاجة؟^(٨) ونزل الزهري مرة بماء، فشكى إليه أهل الماء، قالوا: إن لنا ثمانى عشرة امرأة عُمريّة - أي لهن أعمار - أو عُمريّة - ليس لهن خادم، فاستلف ابن شهاب ثمانية عشر ألفاً، وأخدم كل واحدة خادماً بألف^(٩). ومات يعلى بن حكيم بالشام، وترك أمه، فكانت تأتي أيوب، قال: فأتاها أيوب ثلاثة أيام يقعد على بابها، وتأتيه فتجتمع، فلم يزل يصلها حتى ماتت^(١٠).

إلى غير ذلك من النماذج المنقولة عنهم في هذا المعنى. والله أعلم، وصلى الله على نبيينا محمد، وآله وصحبه.

^٧ - المصدر السابق (٦١٣/٤).

^٨ - المصدر السابق (٢٩٧/٥).

^٩ - المصدر السابق (٣٤٠/٥).

^{١٠} - المصدر السابق (٤٥٢/٥).